

جبال غير رحيمة وبيضاء (الجزء الأخير)

تقديم وترجمة: أحمد يعقوب*

مع هذا الملف الأخير من «مهاجرون جدد» نكون قد قدمنا مشهداً كاملاً لما تيسر من النتاج الشعري لشعراء من أصل فلسطيني قدموه باللغة الإسبانية في تشيلي، حيث الجالية الفلسطينية - وما انحدر منها - تشكل نسبة 5-6٪ من سكان تشيلي اللاتينو - أمريكيين.

لقد نفذت الحضارة العربية عميقاً إلى الكينونة الإسبانية المتداولة في أيامنا هذه هي مفردات عربية، إذ إن كل كلمة تبدأ بـ «ال» التعريف هي كلمة عربية، مثل: الغزال، البركة، الجزيرة، القصر، الفارس... الخ.

وكمثال حي لتلاقي الثقافات، يأتي الشعراء التشيليون من أصل فلسطيني، بعد أن وصل أبائهم وأجدادهم إلى شواطئ أمريكا اللاتينية، وأقاموا في أماكن كان الكثير منها مجهولاً بالنسبة لجغرافي تلك البلاد، التي صارت وطناً ثانياً لهم. ليس هذا فحسب، فقد شاركوا على قدم المساواة في مكونات الحياة العامة والخاصة لتلك المجتمعات، وأبدعوا في شتى المجالات الثقافية والأكاديمية والسياسية والتجارية. فالشاعر الأكاديمي «ماتياس ريفيدي» لم يقتصر دوره على جامعات تشيلي، فلقد شغل منصب بروفييسور زائر في الجامعة الكاثوليكية في بوليفيا. وإذا كان الشاعر النيكاراغوي قد أحدث ثورة في الشعر الإسباني اللاتينو أمريكي، تماماً كما فعل السياب في الشعر العربي، فإن الشاعر محفوظ مصيص قد أحدث تجديداً وتحديثاً، يصفه النقاد بالثورة الثانية في الشعر المكتوب بالإسبانية.

اعتمدنا في ترجمة هذا الملف وتقديمه على مؤلف للشاعر والأكاديمي «ماتياس ريفيدي» بعنوان: «أدباء تشيليون من أصل عربي» قدمه لنا حسني عبد الواحد الذي شغل كرسي اللغة العربية في الكلية العربية في «سانتياغو دي تشيلي» لأكثر من عشر سنوات. والذي نخصه بالذكر هنا على سبيل الامتنان.

ونعتقد أن «مهاجرون جدد» هو إسهام بين في إغناء المشهد الثقافي الفلسطيني والعربي، ولا يقل أهمية عن ملف

الشعراء «المهجريون الأوائل»، كإيليا أبي ماضي وغيره من الشعراء . ولقد جاء ملف الشعراء التشيليين من أصل فلسطيني كفاتحة ملف أكبر وأشمل للشعراء فلسطينيين الأصل في عموم أمريكا اللاتينية، والذين تعاملوا مع اللغة الإسبانية في منجزهم الإبداعي والشعري على وجه الخصوص . نأمل أن نكون قد وفّقنا في تعريف القارئ الفلسطيني والعربي بنتائج آخر شكلا ومضمونا . وعلى أمل التوفيق في إنجاز ملفات أخرى بهذا الصدد .

ماتياس ريفيدي *Matias Rafide*
أحلام غريبة في مرايا السرمنة

«أبدأ ما عرفت لماذا عبر والدي المحيطات وسلاسل الجبال ليأتي إلى هنا ويستقر في بلدة (كوربتو / *curpoto*) أسفل واد بعيد ومجهول يقبع في منطقة جبلية وعرة على ضفاف نهر (الماتاكيتا / *mataquita*)» . هكذا كان يتساءل الشاعر ماتياس ريفيدي عن والده الذي أتى من القدس إلى أمريكا اللاتينية، بعد أن صار عليه لزاماً أن يغلق أبواب موطنه ويهيم في الشتات باحثاً عن مأوى آخر بينما :
«في الخلف بقيت عصافير
أرقة، أصداً خطوات،
أحلام غريبة
في مرايا السرمنة»

وعندما يبقى السؤال مفتوحاً على نافذة القلق يقدم الشعر إجابات كامنة من اللامجهول في الموروث والتواصل مع المنابع الأولى حيث :
«في طريق دمي يمتطي الصهوة
مائة جيل لجمالين غير مرئيين»

وهنا يظهر الشاعر الإحساس العميق بالنسب، فيقيم علاقة حيوية مع أسلافه، يبدأها بالجذور كي يستند إليها، يرفع تلك العلاقة، ينقيها، ويكتب تحت ظلال ماض هو جزء من روحه الإنسانية . ولد ماتياس ريفيدي في مدينة (كوربتو) جنوب تشيلي العام 1929 لأب مقدسي . في طفولته التحق في معهد ديني ليكون قسيساً . وربما كانت هذه المرحلة ازدهرت فيها لغته، حيث كان يفوز بمسابقات مادة الإنشاء بين الطلاب أقرانه، ما جعله يعمل مبكراً في منشورات «الأليانس» وفي الصحافة اليومية . لكنه العام (1956) يحصل على مرتبة بروفيوسور في اللغة الإسبانية في الجامعة الكاثوليكية . كما يحصل من إسبانيا من الجامعة المركزية على درجة الدكتوراة في الفلسفة والأدب، الأمر الذي عينه بروفيوسوراً مساعداً لمادة علم الجمال في الجامعة الكاثوليكية .

صدر له :

«الناعورة» شعر - 1950 . «طقوس العزلة» شعور - 1952 . «دليل المسافر للنسيان» شعر - 1955 .
«سما هاربة» شعر - 1957 . «الأدب التشيلي» دراسة - 1959 . «القلب الشفاف» شعر - 1960 . «زمن
يحترق» شعر - 1962 . «شعراء اسبانيون معاصرون» أنطولوجيا - 1962 . «الضيف» شعر - 1970 .
«شعراء منطقة الماول» دراسة - 1973 . «الرواية الإسبانية - اللاتينوأمريكية» دراسة - 1975 . «سيرة ذاتية
بالحرف الصغير» شعر - 1977 . «مدخل إلى الشعر الجديد المعاصر في تشيلي» - 1978 . «ما قبل السمير»
شعر - 1981 . «مَنْ يَكُون مَنْ فِي الشعر التشيلي» سيرة - 1981 . «قاموس سيربي ونقدي لكتاب تشيليين»
- 1984 . «أنطولوجيا شعرية لأنطونيو ماتشادو» - 1987 . «مختارات شعرية لشعراء إسبانيين» - 1987 .
«ألف ليلة وليلة» موجز وتحليل وتعليق - 1987 . «جبال نحو الداخل» دراسة - 1987 . «أدباء تشيليون من
أصل عربي» 1989 .

في طريق دمي يمتطي الصهوة
(إلى والدي سلمان وإميليا)

في طريق دمي يمتطي الصهوة
مائة جبل من جمالين غير مرئيين

وأحسُّ أنَّ الشرق يتجاذب في دواخلي
وتطلُّ على عيوني حسرة الصحراء .

جرحتني رمالها العارية والأجاج
وإيقاعٌ لغزٌ يمنح تفعيلة لأحلامي .

آلة العود تستيقظ ناحية في أوردتي
وتدوّب في النهر الشاسع حسراتها .
نساء النخيل يباعدن زهرات خيمية من الظلال .
مثل راية نقية فوق ريفي المقفر .

قصيدة V

اليوم عدت إليك

بشكل نهائي
في مرآة ابتسامتك
غير المروضة تجدف عيوني
بحلاوة .

خرجت في ليلة عنيدة
وبطيئة أبحث عن نهر
غريب مُذهَّب ورقراقٍ .

خطواتي محمومة تشابه
أشباحاً في الظل الدافئ .

لكن ذاك النهر كان وحيداً جداً
انعكاساً بارداً لسيف فارغ . . .

كنت في العودة، شجرة ساكنة
باسم أعزب نحو النسيان .
مفاجأة أكثر قلت لي :
- «هنا ينمو : شجرة جديدة، نهر
أزرق، وهواء عال ،
مثل ملك شفاف»

وبين حقل الأسل الخفيف
أحسست بصوتك
- أخضر «مستسقاً» بالموسيقى -
يُسكن في قلبي عصفير
مضيتة .

عابر سبيل

الإسفلت يطوي
زوايا الطريق الأخيرة .

ويعصد عابراً سبيل
أسود .

في جيوبه
ينام رماد اليوم .

تومئ أضواء
في المطر - أشباح
لصبايا ملتبسات -

تتأرجح أشجار
عابرة إلى عيونهم .
والأفق يفرز عصافير
القدر .

موجتان

ابنتي في الظليل ، لها
مفاتيح خفية من الحلم .
أية رياح ستصفر
في الربيع؟
أية ظلال ستصعد
إلى نوافذ سمائها
الصغيرة؟

عينها تخمنان
السنوات الصموتة رشات / صليات
لأمس مرتبك .

هل ستهرب الأرض
يوماً ما؟

ليس كلُّ شيءٍ ينتهي في النهر .
موجتان ، البحر ذاته
سيقبرهما أخيراً
في الضفة .

مسافر غريب

ولدي
يُنْتَرَع من حلم
يمشي بين ضباب
وشفاية نحو
الشمسوع الأرضي .

آه أيها المسافر الغريب
يا من تلعب بمضخّات
صابون عند التماثيل

زهرة عباد الشمس

زهرة عباد الشمس
- منتصف النهار -
تطلق ابتسامات
صفراء ،
في الليل
هي حمامة سوداء
مهملة .

أحبّ البحر
(إلى والدي في مماته)

أحبّ البحر مثل
الأنهار . أتى من البعيد البعيد .

وفي كل موجة وضع آماله .
ابتسامته . شرفات
تسبح في الهواء .

في الخلف بقيت عصافير
قلقة ، أصداء خطوات ،
أحلام غريبة في
مرايا السرثمة .

ترنّ أصواتٌ وسط
النّاجين من الطوفان . ركام
مدينة مهجورة السكان
آه يا طيفاً أسيراً
للموت الذي يمشي

لا أعرف إن كنت جدي

أبناء الشمس والليل
سيعودون من الصمت .
ظلال
شبيهة حد التطابق ترفع شرفات
الأبطال المشهورين في الأساطير اليونانية .

مشاهد عائلية
تتجاوز الذاكرة . نفس
الاسم يزوج إيماءات
قديمة .

لا أعرف إن كنت جدّي
صاحب الكواكب السيارة أو عابر
سبيل جديداً
ووحيداً .

ذاك الرجل

ذاك الرجل
بحقيقته من خرز
قطعة متحف
في المدينة التي يلتهمها
حشدٌ من التنين .

فريد معتر *Farid Metuaze*
«جغرافيا مبلة» و«تمطر حشرات»

أشعار فريد معتر تجد جذورها في اهتمامه بالأرض والطبيعة يقدمها بإيقاع من حنين واستشفاف، لهذا جاءت مجموعته الشعرية الأولى «جغرافيا مبلة» لتمثل الاكتشاف الغنائي للأرض التي يعيش عليها بين متعة الأحلام وسحر مشهد الجنوب التشيلي .
يقدم قصائد قوية وسهلة تفعم بالأصالة الواضحة مع فضاءاتها والتي يورق فيها الحب والقلق الاجتماعي عندما يصبح الشاعر مدافعاً عن الإنسان الذي هو «شقيق الريح والعصافير» .
ربما أمسك الشاعر الغنائية من أوتارها المختلفة كي تتلاءم وثيمات الحب التي تبحث عن جذورها في المهمل من الذكريات، لكن وقائع العالم المحيط تعطي أشعاره نبرة احتجاجية .
في مجموعته الثانية «وتمطر حشرات» نوع الشاعر تعابيره من خلال إحياءات عن تبديل العصر الحالي لصورته وحالاته بما يخص قدر الإنسان .

«أقول : المحطة حلوة، القطار، مركب ينطلق نحو الصمت»

اعتبره النقاد في تشيلي شاعراً أصيلاً يعرف كيف يفك «شيفرة» الأصوات الغرائبية للإنسان وللحياة .
ولد فريد معتر الغزالي في 14 آب 1928 في تشيلي . درس العلوم الإنسانية في معهد التطبيقات في سانتياغو، وفيما بعد التحق بدراسة إدارة المؤسسات . نشاطاته الرئيسة متعلقة بالتجارة، والصناعة والزراعة، ولديه هموم سياسية واجتماعية إذ كان مرشحاً للانتخابات البرلمانية عن مقاطعة «أراوكو» . عاش لبضع سنوات في مدينة «سانتياغو» العاصمة وعاد ليعيش في «أراوكو» مسقط رأسه حيث يقيم الآن .
صدر له : «جغرافيا مبلة» شعر - 1952 . «وتمطر حشرات» شعر - 1964 .

يوماً ما ستنتطق

يوماً ما ستنتطلق متسلحاً بدمعة ،
متشظياً من قبلة أمك التي هرمت ،
ستأخذ بيديك الشفقَ من شعْرها
وفي عينيها اللامضيئتين الساكنتين والموحشتين
ستغرس إلى الأبد طيفك كولد محبوب .

عندئذ ستكون خطواتك ، كلماتك سعيدة ،
اللحنَ الرائع لقيثارتك العتيقة ،
ستكون أنت مثل صمت ناي مبتهج
يسهر في غابة الموت والحنين .

تحت لحمك حيث الشمس لا تنفذ
ونبض دمك كجرس ميت
ستسمع البعاد ، النداء غير المرئي
للشبح الذي يمشي في البستان ويتحسس
بيديه الشفوقتين من الأمل ، ويقبل البلبل الأزرق (1)
بين ألعابك كطفل

نزهة على الشاطئ

أعود من نزهتي القصيرة على الشاطئ
رائحة الأمواج تزهر في حواسي .
أسمع حفيف الريح تلاعب الغيوم
وتختبئ وراء السقوف القديمة للبيوت .

البلدة في عيوني بشوارعها العارية
والأضواء التي تنير بسكون وانكسار
خطوات الناس والحب الذي يتحرق عتمة
خلف زوايا الطريق

هي هكذا ، لا شيء يتغير .

الجدران المنحنية، ونباح كلاب
نباح بين الفضلات

أشجار الحور

حطت على الطريق
كم من الأرواح تتنفس العزلة
العزلة التي تنمو مع الأنوار كلها؟
تغني في خضرتك الشفافية للغياب
يغني الأطفال والعصافير .
من بيوتاتك تطل فراشات من سرخسيات
وصبايا ينتظرن . . .
برج مراقبة للصمت،
زنزانة قلوب مشاعية

قصيدة ظهيرة تموزية

ماذا أبدو خلف الزجاج؟
طيفي الصموت يجثو خلف القضبان الحديدية .
بضع شجيرات تفتتها الريح
تكاد تحتل ثقل العظم
الغيوم التي أسرتها زلاقات الموت
تفتح عيناً . . . حزينة جداً وتمطر حسرات .

وتمطر هزيمة لرجال وديعين ومساكين
أسمع وشوشات زئبق وهو ينطفئ،
الخطوة المتوقفة فجأة، صوت قسيس
في يوم أحد ومياه جنائزية .
أقول: المحطة حلوة، القطار،
مركب ينطلق نحو الصمت .

أشياء كثيرة، يا إلهي، كأنها في دقيقة واحدة
قد وجدت ولم توجد
كأنها في دقيقة واحدة، خلف ألواح الزجاج،
المطر سيحط كوداع للناجين من الطوفان
أو كابتسامة حزينة لحياة مطأطأة الرأس .

تيودور السقا *Teodoro Al Saqua*

رياح بلا ذاكرة

«الحياة مكتنزة بالكثير، تتجاوز ما نتحسسه وما نعرفه أو نتخيله، ما هو جوهري يكمن خلف ما نرى أو ما نعتقد، إنه العالم يوحي بالحالات كلها، كل عمل لي هو وعدٌ مع الحياة، أعشقه وأهديه جزءاً من روحي». هي ذي «فلسفة» السقا عن الإبداع الفني شعراً وتشكياً وصورة فوتغرافية. الناقد «مانويل فرانسيسكو سقا» يقول عن تيودور السقا: «خياله الخصب يسمو بنا، وتسمو كلمته الحاسمة وكذلك روحه الفلسفية الطبيعية (مختصة بالطبيعة)».

ولد السقا في 25 تموز 1958 في العاصمة «سانتياغو» من أصل فلسطيني، درس التصميم في الجامعة الكاثوليكية في تشيلي، وقد بدأ مبكراً بالكتابة إذ اهتم لاحقاً بالرسم والتصوير. شارك العام (1984) في معرض الكتاب الدولي في «فرانكفورت» / ألمانيا. العام (1985) تم اختيار قصائده لأنطولوجيا كتاب أمريكا اللاتينية وقد اختارها صالون اللوفر / باريس. شارك في الملتقى الأول للشباب المبدع إسبانيا - أمريكا اللاتينية في العام 1985.

صدر له: «تعلم كيف تموت» شعر - 1983. «رياح بلا ذاكرة» شعر - 1984.

«فلاش باك»

مضت الطفولة

سريعة

تاركة نفقاً

أركض فيه أحياناً

لأجعل جراحاً تلتئم .

قيلولة في جهنمات أخرى
(إلى آرثر رامبو)

ميتة
عزلة كونية للرجال
يد غبورة للوجود
خذوا روحي
إلى جهنمات أخرى

مَشْرُفٌ

تعبر سحابات سود
خيول داتي مرعبة ،
أسماك هائلة بعين واحدة
طيور ضائعة

كل شيء يتجه نحو العبور
من هنا
من المشرف المتشقق
بدقة متناهية

الدقائق
قطارة في الرأس
حيث ينسكب الوقت
قطرة
قطرة

كيف تتسع الأجنحة؟
قضبان كثيرة!
عطش العصفور!!

لقد شيدوا بيتاً
قرب الطريق
الذي يوصل إلى الموت

مرّ الرجال،
مرت المراكب، الجبال
كل شيء كان يرتفع
أعلى من
درجات الموت،
يتاخم اللاوقت
في رقاص الساعة

* * *

عندي الجيوب
مليئة بالأحلام،
بمسات
عليّ أن أهدبها.

* شاعر فلسطيني يقيم في رام الله .

(1) البلبل الذي يربطه الأطفال بخيط ويلقون به إلى الأرض ويبدأ بالدوران .